إطلالة

طريق اللّاإنسانية في سعيها إلى العدالة

الوجه الآخر للغرب

لم تغفل المقاومة الفلسطينية، طوال صراعها مع الكيان الاستيطاني، عن خوض معاركها مع الراي العام العالمي، في التعريف بالقضية الفلسطينية في الغرب، ما انتج جهات صارت اكثر تفهّماً لقضية كانت مجهولة ومعقّدة واصابها الكثير من التحريف

فوّاز حداد

لم تتغيّر البُنية الصراع بين الفلسطينيّين والكيان الإسرائيلي، على مدى ثلاثة أرباع القرن، ناضَلَ الفلسطينيون على الأرض، لكن تأخّروا في التوجّه إلى الرأي العام العالمي، مع أنّ العرب عرضوا قضيّتهم في المحافل الدولية، لكنّها لم تُحرز دعاية فعّالة على المستوى الإعلامي، بالمقارنة مع ما أحرزته الصهيونية من تراكُم دعائي ضدّ العرب عموماً، لا سيّما بعد هجمات الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر 2001، شكّلت إدانةً للإسلام والمسلمين، ورسَخت صورة العربي المُسلم كبديل نموذجي للإرهابي مفجّر الطائرات، بينما كانت قد نجت، من قبل، المقاوِمة الفلسطيني، سمعة المُزنّر بالمتفجّرات، مُختطف الطائرات، المُلثّم بالكوفية، حامل الكلاشنيكوف، المُهدِّد للسلام في الشرق الأوسط.

اعتنت «إسرائيل» منذ أعلنت قيامها بتصدير صورة الدولة الديمقراطية الوحيدة في بحر من الديكتاتوريات الجمهورية والملكية، باعتبارها بلداً على طريق الازدهار السريع وسط صحارٍ غنيّة بالنفط والفقر والجهل. اعتبر الغرب «إسرائيل» جزءاً من الحضارة الغربية، فأسبغ عليها رعايته.

مع اشتداد عصب المقاومة، رؤجت الصهيونية أسطورة رمي الإسرائيليّين في البحر؛ تلك اللغة التي يخشاها الغرب وليّ أمورها، فاعتبر نفسه مكلّفاً بحمايتها إلى حدّ التسابق لبذل المساعدات للصهيوني، المزارع الحالم بأرض الأجداد، سليل الهولوكوست والضحيّة الناجية من المحرقة وصورته الحديثة: الإنسان المسالم، العالِم والعبقري، الجامعي والمثقّف، على الضدّ من العربي المُعادي للحضارة، الانتحاري كاره الحياة.

أسهم الغرب بنشر الصورتين في الرأي العام بواسطة شبكات الإعلام الكبرى وأفلام هوليوود وسيل من إصدارات الكتب عن المأساة اليهودية في الزمن النازي، في مؤشّر على أنّ وجود «إسرائيل» في الشرق الأوسط معرّض لهولوكوست آخر. فبدت دولةً ترتكب مغامرة حضارية في غابة من الأشرار. كانت الدعاية تشتط، وتخلق وهماً حتى لدى الذين فبركوها، بالإيمان بادّعاء اختلقوه، حتّى أصبحت هذه التصوّرات واقعاً مفروغاً منه، لا سيّما بعدما حقّقت انتصاراً على جيوش ثلاث دول عربية، فكانت «إسرائيل» الطفل ذا القوّة الخارقة، والأعجوبة التي رعاها الرّب، بولغ بها إلى حدّ منقطع النظير، حتّى أنّ العرب أصبحوا يجلدون أنفسهم جزاء الهزيمة حتى الآن، ويستعينون بها للدلالة على عجزهم الطبيعي.

حتى أنّ حرب الاستنزاف وحرب 1973 لم تُقنعاهم إلّا بالهرولة للاعتراف بـ«إسرائيل»، وكلّما قدّموا بادرة سلام، رفضتها. مع هذا أصبح لها أصدقاء عرب، يشيدون بها، ولا يتوانون عن الترويج لها بدورهم، وهكذا انطلق قطار التطبيع بأمان.

لم يُخلف الغرب وعوده لـ«إسرائيل»، فضمّن تفوّقها المطلق، فلم تعُد طموحاتها أقلّ من تحقيق أحلامها في التوسّع، وسوّغ لها عدوان غزّة لتُطالب بالحدّ الأقصى: القضاء على المقاومة وتهجير الفلسطينيّين.

لم تُضيّع «إسرائيل» لنصائح أصدقائها العرب، ولم تهتمّ بهم، فجيرانها لا وزن لهم في قراراتها، مع أنهم لم يُقصّروا في مساعدتها، بفتح حدودهم لها، وإسكات شعوبهم، من دون أي ضغط عليها، باعتبار أنّ أيّ تدخّل منهم لتخفيف الاحتقان قد يشكّل تهديداً لبقائهم، بينما كان الغرب المُصاب بمتلازمة التحيّز الأعمى لـ«إسرائيل» يشاركها في الحرب.

لم تغفل المقاومة الفلسطينية، طوال صراعها مع الكيان الاستيطاني، عن خوض معاركها مع الرأي العام العالمي، في التعريف بالقضية الفلسطينية في الغرب، ما أنتج جهات صارت أكثر تفهّماً لقضية كانت مجهولة ومعقّدة، أصابها الكثير من التحريف. ظهر أثر التعرّف إليها بعد عملية السابع من تشرين الأوّل/ أكتوبر. كان «طوفان الأقصى» بياناً عملياً أدّى إلى انكشاف طموحات قادة دونما تمييز بين المقاومين والمدنيّين، كما لم يقصّر الأميركان بالاستخفاف بحقّ الفلسطينيّين في الحياة، فغضّ النظر عن أعداد القتلى المرتفعة، والحالة المعيشية التي وصلت إلى حضيض المجاعة، ليصبحوا بذلك شريكاً فاعلاً للإسرائيليين بتزويدهم بالسلاح والذخائر، ما يساعد على استمرار العدوان لبلوغ أهدافه. وقد ساندتها أيضاً بالفيتوات في «مجلس الأمن»، وزوّدتها بالمعلومات الاستخبارتية والخطط العسكرية والتكنولوجيا الذكية.

ليس الغرب كتلةً واحدة صمّاء، ففي الغرب نفسه انعكست ردود الفعل في الشارع والجامعات ومراكز الأبحاث وفي عقر الحكومات، والانفكاك بين السياسيّين والأجيال الطالعة الجديدة إلى حدّ قمعها بالقوّة، ولم تتوقّف سلسلة المتغيّرات على الرأي العام، فوقف إطلاق النار في غزّة بات تحت دراسة «محكمة العدل الدولية»، وطلب مدّعي عام «الجنائية الدولية» إصدار مذكّرتي توقيف بحقّ رئيس الوزراء الإسرائيلي ووزير الدفاع، واعترفت ثلاث دول غربية، إسبانيا والنرويج وأيرلندا، بدولة فلسطين، وكذلك سلوفينيا، وفرنسا التي لم تبعد بعيدة عن الاعتراف، كما عبّرت رئيسة وزراء بلجيكا عن ضرورة هذه الخطوة.

ماذا كان ردّ فعل «إسرائيل»؟ تهديد قضاة «المحكمة الجنائية الدولية»، ودعوة أميركا لفرض عقوبات عليها، وبات ما يتردّد في «إسرائيل» بذل الجهود في إقناع دول صديقة بعدم تطبيق أوامر المحكمة.

لم تعُد الحروب والصراعات في كوكبنا تدور ضمن حيّز محدود، ولا أسيرة حدود بلدانها، بل تمدّدت إلى العالم، كما لم تعُد القضايا العادلة محلّية، ومثلما تُخاض على الأرض في جبهة الداخل، تعدّت إلى جبهة الخارج، تخاطب الرأي العام، باستنهاض همّة الأخيار، فالغرب ليس ذا وجه واحد، وفي هذا الحراك في دفاعه عن الفلسطينيين، يَظهر الوجه الآخر للغرب، ولا مبالغة في أنّه الوجه الحقيقي للإنسانية في سعيها إلى العدالة.

(روائي من سورية)

متظاهرون أمام محطة القطار الرئيسية في هلسنكي يطالبون بوقف المجازر الإسرائيلية في غزّة، 31 أيار/ مايو 2024 (Getty)

> كان «طوفان الأقصى» بيانا عمليا كشف نوايا الاحتلال
>
> اشتطّت الدعاية الصهيونية وخلقت وهما حتى لدى مفبركيها

> «إسرائيل» في التخلّص من الفلسطينيّين، وقد تجلّى ذلك في الوحشية الهمجية في قتل المدنيّين وعلى رأسهم الأطفال.
>
> بينما كان الإعلام الإسرائيلي والغربي يُعملان على نزع الإنسانية عن الفلسطينيّين، خاصّة في أوساط الجيش، لتشجيع الجنود على الإيغال في القتل

بصيص نور

ليس الغربُ حكوماته، ولا حفنة السياسيّين المتحكّمين فيه فقط. إنّه أيضا هذه الأجيال الصاعدة التي تُحرّكها قيم العدالة والحرية، والتي ترفض الإبادة الجماعية التي ترتكبها «اسرائيل» في غزّة، وهو أيضا المثقّفون أصحاب الضمير، فلولاهم لكان العالم عاوٍ للأشرار، ولغرق في ظلام مُطبق. هذه الاحتجاجات في الشوارع والجامعات والمدارس قد تكون بصيص نور في نهاية النفق وشعلة تضيء العالم.

يوميات

كُلّما خطوتُ في عُرسي فقدتُ ساقاً

زفاف في زمن الإبادة

كُلّما مشيتُ خطوة في الترتيب لعُرسي فقدتُ ساقاً، كُلّما بحثتُ عن منزل فقدتُه، امشي بعرجة نازح لطّخه زيت المركبات والنومُ تحتها

ساند نجم

عمري قبل ثلاثة أشهر ثلاثون عاماً. اليوم أتممتُ الخمسين، وهذا رقم قياسي. أدري ذلك وأدركه، لكن لا تقلق، أنا من مدينة العمارات الإسمنتية الشاهقة، لكنّني لا أجد مساحة فعلقة أربح فيها فُوَّحَرتي من عناء الوقوف والحركة المستمرة. بعد شهر من الآن موعد زواجي من الفتاة التي أحببتُها، من المفترض أن أفرح، أعرف هذا، حتى وإن لم يظهر عليّ، إلّا أنّني أحاول بكُل ما أوتيت من وقت وطاقة وجُهد.

لا شيء يحول بيني وبين أن أفرح، لا شيء، أعرف هذا جيّداً، لكنّني لا أجد مساحة لا تستنزف جبيبي وتُريح قلبي، وهذا غير مُهمٍ طالما أنّ صديقي فقد منزله في غزّة بسبب القصف. ها أنا أخوض بالمشاعر والشعارات، أخرس مهمة؟ أوكي، ساعود إلى موضوعي.. رأسي مُثقل يا رجُل، أيّ غُرس ساقيمه؟ كم من حبيبة فقدت حبيبها وكم من زوج فقد زوجته؟ كم من طموح وأحلام بأسرة سعيدة شُطبت من السجل المدني؟ هذا كلّه لا يهم. متشائم، صحيح؟ هل بقي معنىً للحياة أصلاً؟ بتّ أشعر أنّ الترّاماتنا كلّها ورطة، ورطة لكسب مزيد من الوقت في تجنّب الحقيقة، أو قُل هروب، فقرّة بلا مظلة، لمواراة الواقع وعدم مواجهته أو تحمّل مسؤولياتنا تجاهه. نحن على قائمة المبادين، ولكن، من يكترث؟ سيحين دورنا في أيّة لحظة.

■■■

- هل ستُقيم العُرس في رام الله أم في بيت لحم؟ بالله عليك دعنا نُقيمه في رام الله.

- يا حبيبتي إن أقمته في رام الله أطلقت النار عليّ، لن أطيق استفزاز الجنود لنا على حاجز «الكونتينر» وأنتِ بفُستان الزفاف.

- يا سلام، على أساس أنّني لن آمرّ في نهاية المطاف عبره.

- أن نمرّ في الذهاب إلى العرس أهون من المرور عائدين، ثُمّ إنّ معارفي وجيراني وأصدقاء أبي في بيت لحم.

- أنت مراوغ، عائلتك الكبيرة في نابلس ورام الله أقرب إليهم، ثمّ من سيحضر عيني وابيضّت من الشمس، لا غيم في السماء، هل تُمطر الشمس؟ بالطبع لا، فلا غيم في السماء، لكنّني أشعر بها وأراها، ثمة أشياء يا صاحبي أشعر بها وأراها، لن تدركها أنت، حتّى وإن أشرتُ إليها

> هل كُتب عليّ اللجوء كلّما كوّنتُ علاقة مع مكان ما؟

بسبّابتي هذه. بالأمس، حدث حوار أقرب ما يكون إلى مشهد في مسلسل «التغريبة»، تطرحُ عليّ خطيبتي حلّا لمسألة السكن: «ليش ما تجي تسكن برام الله، هُناك من سيساعدنا في ذلك»، أجيبها بعد زفير: «لا.. أرفض المساعدة». «يا سائد رام الله أحلا». «أفهمي مشان الله، أنا لاجئ للمرّة الألف، ثمّ أجيبني، هل كُتب عليّ اللجوء كلما كوّنتُ علاقة مع مكان ما، مع أناس وأصدقاء؟»، صمتت هي، وتحوّل غضبي إلى حُزن بطريقة لا أفهمها.

(كاتب وصانع بودكاست من فلسطين)

فتاة تُعتّف اضواء استعدادا لحفل زفاف بين خيام النازحين، خانيونس، 3 أيار/ مايو 2024 (Getty)

صوت جديد

نحاول تلمُّس الشّعر والأدب في عالم قاسٍ

ملاك مكّي

تقف هذه الزاوية من خلال أسئلة سريعة مع صوت جديد في الكتابة العربية، في محاولة لتبيّن ملامح وانشغالات الجيل العربي الجديد من الكتّاب

بيروت ـ **العربي الجديد**

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظلّ ما يجري من عدوان إبادةٍ على غزّة؟

في ظلّ الإبادة التي تشهدُها غزّة اليوم يشغلُني العذاب والألم. لا شيء أمامي سوى شعورنا الإنساني المهدّد والهزيل. عجزُنا التامّ أيضاً أمام فلسطين.

■ كيف تفهمين الكتابة الجديدة؟

لا أوافق على مصطلح الكتابة الجديدة، فالكتابة كتابة، ولا أصنّف الكتابات بين قديمة وجديدة. ربّما تؤثّر ملامح العصر على الأشخاص وكتاباتهم وأساليبهم التعبيريّة، غير أنّ الكتابة تبقى طريقة لتعبير عن الهواجس والأفكار والمشاعر والأخيلة وعمّا نُخبّئ في نفوسنا.

■ هل تشعرين نفسك جزءاً من جيل أدبي له ملامحه وما هي هذه الملامح؟

أشعر أنّني أنتمي إلى جيل أدبي يتخبّط بين الانكسارات وبين الأحلام، يبحث عمّا هو جميل في ظلّ تجرّبات حياتية جمّة. جيل يحاول أن يجد الشّعر والأدب في عالم قاسٍ وحياة صعبة.

■ كيف هي علاقتك مع الأجيال السابقة؟

أحترم الأجيال السابقة، أحبّ، ربّما، صلابتها، رؤيتها المختلفة للأدب وللحياة ربّما. أرغب في أن أنصت لها وأتعلّم منها، ربّما كانوا متمسّكين أكثر منّا بالكلمة، وبالنبض، بالهواء الشعري الذي يلفح وجوهنا نحن الذين نسير مسرعين في هذه الأيام.

■ كيف تصفين علاقتك مع البيئة الثقافية في بلدك؟

تأثّرت البيئة الثقافية في لبنان كثيراً، بالأزمة الاقتصادية الصعبة وبأحوال البلاد المنهارة. ترتبط الثقافة بحياة الأشخاص اليوميّة، بظروف البلاد وأحوالها، ولا تعيش منفردةً أو منفصلة عمّا يجري في الشوارع وفي البيوت وفي حياة الأشخاص وواقعهم اليومي. أمّا أنا فلستُ ناشطة على الصعيد الثقافي.

> انتمي إلى جيل يبحث عمّا هو جميل في ظلّ تحدّيات حياتية جمّة

ملاك مكّي

فعاليات

في «سينما راديو» بالقاهرة، تُوقّع الكاتبة والباحثة المصرية **عائشة خليل عبد الكريم**، عند السابعة من مساء بعد غدٍ الخميس، كتابها **44 اصوان: مدينة اسوان في جيل العمّاد** الصادر حديثاً عن «ديوان للنشر». يُضيء الكتاب علاقة الاديب المصري عبّاس محمود العمّاد بالمدينة التي وُلد فيها عام 1889.

عند الرابعة من مساء الجمعة المُقبل، تحتضن الجامعة الاميركية في بيروت لقاءً مع الناقدة والمُنظّرة النسوية الهندية **اروندّاتي روي** (1961/ الصورة)، تُحاورها فيه الباحثات **ناديا ابو علي** و**ريما رنتيسي** و**ريما ماجد**. تتناول صاحبة كتاب **سياسة القوّة** (2002) في اللقاء الروابط بين الثقافة والسياسة في زمن الإمبراطورية، وتُحدّدات الكتابة ضمن هذا الشرط العالمي.

ضمن سلسلة ندوات «تنمية القطاع الزراعي الفلسطيني بين الاستعمار والعولمة والتحرير»، التي تُنظّمها «مؤسّسة الدراسات الفلسطينية»، تُعقد عند الثانية والنصف من مساء بعد غدٍ الخميس (بتوقيت القدس) ندوة بعنوان **التغيير الزراعي كخراب**. يتحدّث في الندوة الباحث **بول كولبري**، وتُبثّ عبر منصة زووم.

في «مكتبة خان الجنوب» ببرلين، يلتئم نادي قرّاء المكتبة عند السابعة من مساء 21 حزيران/ يونيو الجاري، لمناقشة رواية **حزنٌ في قلبي** للكاتب اللبناني **هلال شومان**. تدور احداث العمل بين شقق ونوادي برلين الليلية، وشرفات وشوارع بيروت، حيث يحاول يوسف ان يُرمّم قصّته المتناثرة من احلام وصور ومذكّرات.

بطاقة

شاعرة وصحافية لبنانية، حاصلة على دكتوراه في الصحافة العلمية من «جامعة باريس». كتبت في دوريات تابعة لمراكز علميّة عديدة منها «المركز الوطني للبحوث والإنماء». صدرت لها مجموعة شعرية بعنوان «كأنّني أسابق صخرة» («دار النهضة العربية» في بيروت، 2017).

■ كيف صدر كتابك الأول وكم كان عمرك؟

صدر كتابي الأول، «كأنّني أسابق صخرة»، عام 2017 في بيروت. كنتُ أبلغ من العمر ثلاثة وثلاثين عاماً. أقنعني أحد الأصدقاء بضرورة نشر قصائدي وعرّفني إلى دار النشر، وهكذا كانت الخطوة.

■ كيف تقرئين وكيف تصفين علاقتك مع القراءة: منهجية، مخطّطة، عفوية، عشوائية؟

أقرأ بطريقة عشوائية وعفوية. في هذه المرحلة، أشعر أنّني أحاول إعادة صياغة علاقتي مع الكلمة ومع الخيال.

■ هل تقرئين بلغة أُخرى إلى جانب العربية؟

نعم، أقرأ باللغة الفرنسية أيضاً.

■ ماذا تكتبين الآن وما هو إصدارك القادم؟

أكتب بعض القصائد القصيرة وبعض النصوص الذاتية. اكتبُها بطريقة مبعثرة ومن دون إصرار أو تصميم، وأجمعُها لربما تنحضر لاحقاً للصدور في إصدار شعري.